

محاكمة دمنة

بتتلم: ١٠. عبد الحميد عبد القادر

بريشة: ١٠. عبد الشافي سيد

إشراف: ١٠. حمدي مصطفى



الطبعة الأولى
الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة
الطبعة الخامسة
الطبعة السادسة
الطبعة السابعة
الطبعة الثامنة
الطبعة التاسعة
الطبعة العاشرة

عقدت هيئة المحكمة - التي أمر الأسد بتشكيلها - جلساتها لمحاكمة (دمنة) بتهمة السعي بالكذب والنميمة ، والتي نتج عنها قتل الثور (شربة) دون دُنب أو جناية ارتكبتها ..
وأعلن القاضي للحاضرين أن من لديه أقوال تبرئ أو تدِين (دمنة) من التهم المنسوبة إليه ، فإن عليه التقدم بها لهيئة المحكمة ..

فنهض الخنزير وقال :

- أنا لذي ما أحب أن أدلى به ، بخصوص ذلك المجرم الواقف في قفص الاتهام ..



فَحَضَرَ إِلَيْهِ (دِمْنَةُ) فِي احْتِفَازٍ ، وَقَالَ مُتَجَاهِلًا إِيَّاهُ :
- مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَحْضُرَ إِلَى قَاعَةِ هَذِهِ الْمَحْكَمَةِ الْمُحْتَرَمَةِ وَتُكَلِّمَ
بِأَقْوَالِكَ ؟

فَقَطَّرَ الْعَبْطُ عَلَى وَجْهِ الْخَيْزُرِ ، وَقَالَ فِي اعْتِرَازٍ :
- أَنَا كَبِيرُ الْخَنَازِيرِ وَسَيِّدُهَا ، وَلِي مِنَ الْمُتَوَلِّةِ عِنْدَ الْأَسَدِ مَا لَا يُمْكِنُ
أَنْ تُنْكِرَهُ أَوْ تُنْكِرَهُ أَحَدٌ ..
فَقَالَ الْقَاضِي :

- هَلْ لَدَيْكَ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا يُدِينُ أَوْ يُنَرِّئُ الْمُتَّهَمَ
(دِمْنَةُ) ؟



وقال الخنزير :

- إن أهل الصلاح والتقوى يعرفون بين الناس بسبعاتهم وصور
وجوههم ، والتي تميزهم عن الأشقياء والمجرمين ..

فقال القاضي :

- هذا صحيح ..

وأشار الخنزير إلى (دمثة) قائلاً :

- وهذا المجرم المائل أمامكم توجد علامات وسمات

واضحة جلية في وجهه ، تدل على ما به

من نزعة شريفة حاقدة ، فابحثوا

عن هذه العلامات تجدوها

واضحة كالشمس ..



قَالَتِ الْخَاصِرُونَ كُلُّهُمْ إِلَى (دَمْنَةٍ) ، وَارْحُوا يَحْدَقُونَ فِي وَجْهِهِ
وَأَجْزَاءِ جِسْمِهِ ، وَخَفِضَ (بَعْنَةً) بَصَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي خَجَلٍ ،
بَيْنَمَا اتَّجَهَ الْقَاضِي إِلَى الْخِزِيرِ قَائِلًا :

- أَعْلَمُ وَيَعْلَمُ الْجَمِيعُ فِي هَذِهِ الْقَاعَةِ أَنَّكَ يَا سَيِّدَ الْخَنَازِيرِ خَبِيرٌ
فِي تَعْرِيفِ صِفَاتِ الْأَشْخَاصِ مِنْ عِلَامَاتٍ وَسِمَاتٍ وَجُوهِهِمْ
وَصُورِهِمْ ، وَلِذَلِكَ فَأَنَا أَرْجُوكَ أَنْ تُطْلِعَنَا عَلَى مَا تَرَاهُ فِي وَجْهِ ذَلِكَ
الشَّقِيِّ مِنْ عِلَامَاتِ السُّوءِ وَالْإِجْرَامِ ..
فَقَالَ الْخِزِيرُ :

- إِنْ مِنْ كَانَتْ عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْفَرَ مِنْ عَيْنِهِ الْيُمْنَى ، وَهِيَ لَا تَرَاهُ
تَرْتَعِبُ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَكَانَ الْفَمُ مَائِلًا إِلَى جَانِبِهِ الْاَيْمَنِ ، فَهُوَ شَقِيٌّ
خَبِيثٌ وَخَافِدٌ كَذَّابٌ ..



فَتَضَاهَيْكَ (بِمَثَلِهِ) مِنْ هَذَا الدَّمِ الْمَوْجِبِ إِلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ ، وَلَمْ
يَمْلِكْ نَفْسَهُ مِنَ الْغَضَبِ ، فَقَالَ :

- يَكْفِي هَذَا الْقَدْرُ مِنَ النِّطَاقِ وَلَمْ الْأَبْرِيَاءِ أَيْهَا الْخَنَزِيرُ الْقَدْرُ ..
لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْعَلَامَاتِ وَالسَّمَاتِ ،
وَأَنْتَ عَلَامَاتٌ وَجْهَكَ تَقْضِصُ قُبْحَكَ وَقَذَارَةَ جَنَسِكَ .. فَتَتَكَلَّمُ عَنْ
غُيُوبِ غَيْرِكَ وَتَتَسَنَّى غُيُوبَكَ الَّتِي يَغْرِفُهَا الْجَمِيعُ .. إِنْ غُيُوبَكَ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ أَجْدَرُ الْحَاضِرِينَ بِأَنْ تَكُونَ مُجْرِمًا غَتِيْدًا فِي
الْإِجْرَامِ ..



فَقَالَ الْخَيْزُرُ غَاضِبًا :

- اَتَوَجَّهْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ ؟

فَقَالَ (بِشَّوْنَةٍ) :

- وَمَنْ غَيْرُكَ الْقَصِيدُ ؟ لَقَدْ مَنَعْنِي عَنْ فَضِيحِ غَيْوبِكَ مَا كَانَ يَتَنَبَّأُ

مِنْ مَوْتِهِ وَصَدَاقَةِ فِي الْمَاضِي .. أَمَّا الْآنَ وَقَدْ تَجَرَّأَتْ عَلَيَّ وَقُلْتُ

فِي حَقِّي مَا قُلْتُ ، فَلَنْ يَمْنَعَنِي شَيْءٌ أَنْ أَفْضِيحَ الْأَعْيُنَ ، الَّتِي تُرِيدُ

أَنْ تَتَشَرَّبَ بِهَا إِلَى الْأَسَدِ ، وَأَنْ أَوْضَحَ لِلْحَاضِرِينَ مَا قَبْلَكَ مِنْ غَيْوبِ

ظَاهِرَةٍ ، وَعَلَامَاتٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْطِئَهَا عَيْنٌ ..

وَقَالَ الْخَيْزُرُ :

- وَمَاذَا تَرَى فِي مَنْ غَيْوبٍ إِذَنْ يَأْخُذُ بِالْوُجُوهِ وَالصُّوَرِ ؟



فَاتْلُقْ (بِمَثَلَةِ) صَبِيحَةَ سَرِيرَةٍ .. ثُمَّ قَالَ :

- أَلَمْ يُخَبِّرْكَ أَحَدٌ قَبْلِي أَنَّكَ أَنْتَرَجُ السَّاقَطِينَ ، مَنُفُوحُ الرُّجُلَيْنِ ،
مَنُفُوحُ الْبَطْنِ ، مَشْقُوقُ الشَّفَتَيْنِ ، سَيِّئُ الْمَنْظَرِ وَالْمَجْنُونِ ؟
فَتَغْيِرُ وَجْهَ الْخَبْرِيِّ ، وَأَطْلُقُ بَوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَيُخِجِلُ ،
ثُمَّ رَاحَ يَبْكِي نَادِيًا عَلَى أَنَّهُ تُسْرَعُ وَقَالَ مَا قَالَهُ لِي حَقٌّ (بِمَثَلَةِ) ..
وَلَمَّا رَأَى (بِمَثَلَةِ) ذَلِكَ وَالْكَسَارَةَ ، وَهَزِيمَتَهُ وَأُدْحَارَهُ ، قَالَ
فِي سَهْمَاتِهِ :

- بِنْتِغِي أَنْ يَطُولَ بُغَاؤُكَ ، حَتَّى تُعْرِفَ قُدْرَتَكَ ، فَلَا تُثْطَلَاوَلِ
بَعْدَهَا عَلَى الْأَتْرِيَاءِ الشَّرَفَاءِ أَفْثَالِي
وَاسْتَنْفَرَتْ إِجْرَاءَاتُ الْمُحَاحِمَةِ حَتَّى وَقَدْ مُتَّأَخَّرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ..
ثُمَّ أَمَرَ الْقَاضِي بِأَنْ يُغَادَى (بِمَثَلَةِ) إِلَى السَّجْنِ ، فَغَادَهُ الْجُنْدُ إِلَى
هُنَاكَ ..



وفى تلك الأثناء حزّن (كليلة) على أخيه (دمثة) وما جِزةً على نفسه من
النصاعِبِ والمَنَاعِبِ ، وتسبب حَزْنُهُ فى مرضه مرضاً شديداً .. ثُمَّ مات ..
وكان لـ (كليلة) صديقٌ عزيزٌ يدعى (رؤبة) ، فلما علم بوفاة
(كليلة) انطلق إلى أخيه (دمثة) فى السجن ، وأخبره بما حدث ..
فبكى (دمثة) بكاءً حاراً على فقد أخيه ، وقال :

- ما قيمة الحياة بغيرك ، وماذا أفعل فى الدنيا بغيرك يا أخى ؟

وطيب (رؤبة) خاطره قائلاً :

- إذا كان أخوك قد مات ..

فاعتبرنى أحاك من

بعده يا (دمثة) ..



وَكَانَ (رُؤْيِيَّةً) هُوَ أَيْضًا مِنْ أَتَاءِ أَوَى مِثْلَ (كَلْبِلَةٍ) وَ(دِمْنَةٍ) فَتَنْظُرُ
إِلَيْهِ (دِمْنَةً) قَائِلًا :

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْقَى لِي أَخَا كَرِيمًا مِثْلَكَ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي ،
حَتَّى يَخْلُفَ عَنِّي مُصَابِي فِي مَوْتِ أَخِي ..
فَقَالَ (رُؤْيِيَّةً) :

- لَا تَحْمِلْ هِمًّا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، مَا دُمْتَ أَنَا
مَوْجُودًا بِجِوَارِكَ يَا أَخِي ، وَاعْلَمْ أَنَّي مِنْ
خَدَمِ الْأَسَدِ الْمُخَلَّبِينَ ..
فَقَالَ (دِمْنَةً) :

- أَهْبِ إِلَى دَارِي وَدَارِ أَخِي الرَّاحِلِ ، فَسَتَجِدُ
وَقْفًا مَلِيًّا بِالْأَمْوَالِ هُوَ كُلُّ مَا ابْتَخَرْتَهُ ..



فَلَمَّا نَفَذَ (رُوزْبَةُ) مَا أَمَرَهُ بِهِ (بِئْمَةُ) ، وَاحْضَرَتْ لَهُ صُنُوقَ
الْأَمْوَالِ قَسَمَهَا (بِئْمَةُ) بَصِئَتَيْنِ ، وَأَعْطَى (رُوزْبَةَ) بَصِئَةً بَيْنَهُمَا
احْتَفَظَ لِنَفْسِهِ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ .. ثُمَّ قَالَ :
- كُلْ مَا أَرِيدُهُ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُنْتَبِخَ لِي أَخْبَارَ الْأَسَدِ ، وَكُلُّ مَا يَنْقُلُهُ
إِلَيْهِ خُصُومِي فِي حَقِّي ، خَاصَّةً أُمُّ الْأَسَدِ وَالْقَاضِي ؛ لِأَنِّي أَشْعُرُ أَنَّهُمَا
جَادَانِ فِي إِدَابَتِي وَلَوْ حَبَلُ الْمُسْتَقَةِ حَوْلَ رَقَبَتِي ، انْتِقَامًا لِلثُّورِ ..
فَقَالَ (رُوزْبَةُ) :

- سَتَاتِيكَ بِأَخْبَارِهِمْ جَمِيعًا أَوَّلًا قُلُوبًا ..

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِي حَضَرَ الْجُمُعُ إِلَى السَّجَنِ ، وَقَادُوا (بِئْمَةُ) إِلَى
قَاعَةِ الْمُحَاضَرَةِ ، فَادْخَلُوهُ فِي الْقَفَصِ مَكْنِيًّا بِالْأَعْلَالِ ..

وَبَدَأَ الْقَاضِي جَلْسَةً الْمُحَاضَرَةِ قَائِلًا :

- لَقَدْ تَحَصَّنَا أَصْرَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي

بِأَ (بِئْمَةُ) ، وَلَقَدْ أَجْمَعَ الْخَاضِرُونَ

فِي هَذِهِ الْقَاعَةِ عَلَى شَتَاغَةِ جُرْمِكَ ،

وَاسْتِحْقَاقِكَ الْعِقَابِ

مَوْتًا عَلَى ذَلِكَ .



فَقَالَ (دُمْنَةُ) :

- أَرَأَيْتَ لَمْ تَتَّعُودِ الْعَدْلَ عَلَى قَضَائِكَ أَيُّهَا الْقَاضِي ، كَيْفَ تَحْكُمُ بِقَضَائِي ، وَأَمَّا لَمْ أُعْطِ الْفُرْصَةَ لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِي ؟

إِنَّكَ تُصَدِّرُ هَذَا الْحُكْمَ تَبَعًا لِهَوَاكَ ، وَلَيْسَ إِحْقَاقًا لِلْحَقِّ وَإِرْسَاءً لِلْعَدْلِ .
فَقَالَ الْقَاضِي :

- إِنَّ عَمَلِ الْقَاضِي هُوَ أَنْ يُجَارِيَ الْمُحْسِنِينَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .. وَمَنْ رَأَى يَا (دُمْنَةُ) أَنْ تُخْزِفَ بِذُنُوكَ وَتَقْدُمَ عَلَيْهِ ، وَتُنُوبَ مَبَّةً .. هَذَا هُوَ خُلُقِي وَمَا أَعْتَقِدُهُ ..

فَقَالَ (دُمْنَةُ) مُسْتَعْتَكِرًا :

- إِنَّ الْقَاضِي الْعَادِلَ لَا يَحْكُمُ بِالْظَنِّ ، لَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .. وَأَمَّا أَغْلَمُ مِنْكُمْ بِزُرَاعَتِي - كَيْفَ تُرِيدُ مِنِّي أَيُّهَا الْقَاضِي أَنْ أَغْرِفَ بِذُنُوبِي لَمْ أَرْتَجِبْهُ ، حَتَّى أَدِينَ نَفْسِي وَأَرْضِيكُمْ ؟



لَقَدْ تَصَنَّحْتُكَ ، حَتَّى أَوْفَرُ عَلَيْكَ وَغَلَيْتُا الشَّجَبَ وَالْجِدَالَ الْفَرَّ
لَا فَائِدَةَ مِنْهُ ، وَلَا طَائِلَ مِنْ وِرَائِهِ ..

فَقَالَ (دِمْنَةُ) مُسْتَحْفَافًا :

إِنْ كَانَتْ مِنْكَ نَصِيحَةٌ ، فَقَدْ أَخْطَأْتُ الشَّخْصَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ
تُوجِّهَهَا إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْكَ خَدِيعَةٌ ، حَتَّى تُدْفَعَنِي إِلَى الْاعْتِرَافِ بِجُرْمِ
لَمْ أَرْتَكِبْهُ ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَلِيْقُ بِالْقَاصِي الْعَاقِلِ .. وَأَنَا أَطْلُكَ لَسْتُ غَادِلًا ..
فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاصِي مِنْ (دِمْنَةُ) هَذَا الْكَلَامَ ، وَرَأَى تَطَاوُلَهُ عَلَيْهِ ،
وَاتِّهَامَهُ لَهُ بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، رَفَعَ الْجُنْسَةَ ، وَاتَّجَنَّهُ مِنْ قُوْرِهِ إِلَى
الْأَسَدِ ، فَقَصَصَ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ مِنْ تَطَاوُلِ
(دِمْنَةُ) عَلَيْهِ وَوَصَفِهِ لَهُ بِمَا لَا يَجُوزُ ..



اسْتَدْعَى الْأَسَدُ أُمَّهُ وَقَالَ لَهَا : إِنَّ (دُمْنَةَ) مُصِرٌّ عَلَى بَوَاطِنِهِ ،
وَيُنْكِرُ الْإِعْتِرَافَ بِجُرْمِهِ ، فَغَضِبْتَ أُمُّ الْأَسَدِ غَضَبًا شَدِيدًا
وَقَالَتْ :

- لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا أَنْخَوْفُ مِنَ احْتِبَالِ (دُمْنَةَ) عَلَيْكَ
بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ ، حَتَّى يَفْتُلِكَ ، أَكْبَرُ مِنْ اهْتِمَامِي بِمَا سَبَقَ مِنْ
جُرْمِهِ ، حِينَ وَشَى بِصَدِيقِكَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِغَيْرِ نَذْبٍ ..
فَقَالَ الْأَسَدُ :

- إِذْنِ أَخْبِرْنِي عَنِ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الشَّخْصِ ، الَّذِي
أَخْبِرَكَ بِمَا قَالَهُ (دُمْنَةَ) حَتَّى يَكُونَ شَاهِدًا عَلَيَّ (دُمْنَةَ) فِي هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ ، فَجَبَّوْنَ سِنْدًا لِلْقَاضِي فِي إِصْدَارِ حُكْمِهِ
بِإِذَانِهِ (دُمْنَةَ) -



فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :

- إِنِّي أَكْرَهُ إِفْتِسَاءَ سِرِّ التَّمَنُّيِ عَلَيْهِ شَخْصًا مَا ، لَأَنْ أَمَانَتِي لَنْ
تُسَمِّحَ بِذَلِكَ .. وَلَعَلِّي سَأُرْسِلُ لِبَذَلِكَ الشَّخْصِ ، الَّذِي أُوَدِّعُنِي سِرَّهُ ،
وَأَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالشَّهَادَةِ طَائِعًا مُخْفَارًا ..

وَأُرْسَلْتُ إِلَى النَّمْرِ - وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَهَا بِمَا دَارَ بَيْنَ (دِهْنَةِ)
وَأَخِيهِ (كَلِيلَةَ) - فَلَمَّا حَضَرَ النَّمْرُ ، ذَكَرْتُ لَهُ مَا بَجِبْتُ عَلَيْهِ مِنْ
مُعَاوَنَةِ الْأَسَدِ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ ، وَكَشَفِ الْجَانِي ، وَنُصْرَةِ الْمَطْلُومِ ..
وَلَمْ تَزَلْ تُحَرِّصُ النَّمْرَ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى اقْبَلْتَنِي وَأَخْبَرْتَنِي بِأَنَّهُ
سَنُوفَ يَذَلِّي بِشَهَادَتِهِ رَاضِعِيًا ، وَأَنَّهُ يَعْصِرُهُ أَنْ يَشَارَكَ فِي إِظْهَارِ
الْحَقِّ ، وَدَحْرِ الظُّلَمِ ..

وَأَجَبَ النَّمْرُ عَوْرًا فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ
اِغْتِرَابِ (دِهْنَةِ) لِأَخِيهِ (كَلِيلَةَ) بِأَنَّهُ سَعَى بِالْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ بَيْنَ
الْأَسَدِ وَالنَّمْرِ ، حَتَّى قَضَى عَلَى الثَّوَرِ بِذُنُوبِ ذَنْبٍ ..



وعلم الفهد الذي سمع المُحاورَةَ بينَ (دُمْنَة) وأخيه (كَلِيلَة) في
السَّجْنِ بِأَن هُنَاكَ شَاهِدًا آخَرَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى الْأَسَدِ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا
سَمِعَهُ ، فَاصْنَحَ هُنَاكَ شَاهِدَانِ ضِدَّ (دُمْنَة) ..

وَقَالَ لَهُمَا الْأَسَدُ مُتَعَجِّبًا :

- مَا مَنَعَكُمَا مِنَ الْإِدْلَاءِ بِشَهَادَتَيْكُمَا مُنْذُ الْبِدَايَةِ ؟

فَقَالَ كُلُّ مَبْهُمَا :

- قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَهَادَةَ شَخْصٍ وَاحِدٍ لَا تُكْفِي لِإِدْلَاءِ (دُمْنَة) وَأَصْنُرُ

الْقَاضِيَ حَكْمَةً عَلَى (دُمْنَة) بِالْقَتْلِ جَزَاءً عَلَى أَنَّهُ كَانَ السَّنْبُ بِكَذِبِهِ
وَوَشَايَتِهِ فِي قَتْلِ (سَبْرِيَّة) ..

وَبَقِيَ الْحُكْمُ عَلَيْنَا فِي الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ ، حَتَّى يَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ
تَسْئَلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْتَعِيَ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ بِالْكَذِبِ وَالْخِدَاعِ ، حَتَّى

يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم
الأسد والأرنب

